صفحاتٌ من وقائع الدِّبْلوماسيَّةِ النَّبويَّةِ على صاحبها الصلاةُ والسلامُ ودورها الرائد في السّلْم المدنيِّ

محمد زبير عباسى*

محمد أيوب الرشيدى**

Abstract

A Few Glimpses from the Prophetic Diplomacies and its Leading Role in Construction of Cultural Accord:

The era in which humanity is living today is going to badness needs to shift to coolness, still environment, non-objectionable atmosphere, individual and social love and justice. All these things enable humanity to work harmoniously. Today there are many researches that have merely been done by various scholars in which they confidently proclaim that if anyone wants to tie his/her relations, whatever are these, with others have to go ahead to firm them with modern diplomacies. At this very critical point they put question towards people engaged with Islamic studies saying: 'Is there any ideal personality who can be declared as incomparable and matchless model for the rest of the world' and then they bring many examples from the Greek culture etc. This paper attempts answer to the very question relatively in short refined way, examining that there is no anyone who can be conferred the credit of introducing justice in mediation, fairness in diplomacy, equality in negotiation, impartiality in personal and republic based interior and exterior policies excluding the Holy Prophet SAW.

Keywords: Diplomacy, Prophecies, Role Model, Cultural Harmony

مدخل

إن العصر – الذى نعيشه – فى مسيس الحاجة إلى تيسير الأمور بكل هدوء وارتياح، ومواكبة النشاطات الإنسانية بكل رفق، ولينة، وإسهام جميل فى تغليب الإنسانية على الخزعبلات الحائلة دونما تقدمها وتغلبها بكل حب وعدالة فردية كانت أو جماعية. هذه المعانى وأمثالها التى لها دور رئيس فى إيقاظ الهمم الإنسانية وملء الحاجيات المتفاقمة والمتضافرة بعد مرور كل ساعة من الحياة إنما إيفاؤها منوطة بنثر لآلئ البشر والترحاب المعنوى والابتسامة العقلية، وهذا الأمر معقود بما هو أجدى له من بث الخير وخلق التوازن فى مرتبطات الحياة المعنوية والمادية، فالرسول صلى الله عليه وسلم بات أسوة حسنة على حساب ذاته وعياله؛ الأمة جمعاء، وبيَّن القرآن الكريم ذلك قائلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (1)، يسر الله تعالى لكل من هب ودب أن يتخذ من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لنفسه، وأهله، وعائلته، وأسرته، وأقاربه،

* أستاذ مساعد بقسم اللغويات، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد باكستان

** أستاذ مساعد بمركز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد باكستان

وأصدقائه، وزملائه. فالأمر برمته مقصور على من يرجو اللهَ ويوم الساعة، ويذكر الخالقَ سرًّا وعلنًا، ليلًا ونهارًا، فرحًا وهمًّا.

وهذا الذكر – كما يتراى لمن هو دقيق البصر، وعيّ القلب – دال على أسس خلق التوحيد فى صفوف الأمة جمعاء، إن العالم الإسلامى كتلة حضارية لها أساس متين وهو دبلوماسية الحوار والسلام، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من استعان بالدبلوماسية والسفارة، فأوفد السفراء والمبعوثين إلى البلاد المختلفة لتأسيس علاقات التعايش السلمى بين الدول والحوكمات بغية نيلها من الرشد والإرشاد والاسترشاد. وفيما لا شك هو أن الإسلام قد أقام نظاما دبلوماسيا متطورا ومتقدما. فأضحت الدبلوماسية فى السياسة والدين مذهبا لا انفكاك لها منه، ومظهرا رئيسا لا فكاك لهما منه، ولا يتصور أى نوع من السلم والمسالمة اليوم دونما الحنكة الدبلوماسية والأساليب الذكية والاستراتيجيات ذات الحِذْق والفطنة، وهذا مما أذعنت له الرقاب منذ فجر الدنيا ولكن النبى صلى الله عليه وسلم أضفى على تلك السمات السائدة سَمْتَ العدل والإنصاف والخير والرفق واللين والرحمة والسماح والعون والتسامح.

تتناول هذه الورقة صورا دبلوماسية مختصرة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم التى لها دور عزيز فى بناء الحضارة الموحَّدة المسلمة عبر تفعيل الذكاء الجمهورى؛ الدبلوماسى لصلاح أمر الأمة أجمع.

إن الدين عند الله هو الإسلام كما ورد فى كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه رصد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (2)، وهذا الأخير يعبر عن المعانى العديدة التى تحوى الدلالات الكثيرة نحو السِّلْم والمسالمة والصلح والمصالحة والهدنة والمهادنة – خلاف الحرب، وجاء فى التنزيل العزيز: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (3)، فالحكم مطبَّق عليه عند ميل العدو إلى الصلح، والحكم الفقهى المنوط بذلك الوضع هو قبول الصلح إذا كان الصلاح والرشد فيه (4).

من الدلالات التى يوحى بها هذا السلم القرآنى ثم النبوى هى الدعوة إلى سواء السبيل بالحسنى والموعظة والرفق واللين والحجة والبرهان والتفاوض والحوار. وهذا من خصائص الإسلام ومنهجه القويم، فالإسلام دين التوحيد بين قوى الحياة جميعها، انفرد الإسلام من بين الأديان السماوية "بتنسيقه بين شئوون المادة وشئوون الروح، وبين سلطات الدولة وتوجيهات الدين، وبين العمل فى الدنيا والاستعداد للآخرة، بنظم واضحة صريحة تتعادل فيها الحقوق والواجبات، ويتساوى فيها الجهد والجزاء، وتكفل فيها ضمانات المعيشة المادية، وضمانات العدالة القانونية" (5).

فالإسلام هو دين وحيد أقام الوحدة بين قوى الكون جميعا، ففيه تلتقى القيم الاقتصادية والخلقية ويتم التوازن بين أشواق الروح ومظاهر الحياة. وهذا الأمر هو ما قام به الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، كلما بعث بعثا أو أرسل سرية إلى من كان يهمه، فكان يقول وهو هاد ومصلح وناصح لأصحاب البعثات والسرايا: "تألفوا الناس، وتأَنَّوْا بهم، ولا تُغِيْرُوْا عليهم حتى تَدْعُوهم" (6).

هذه ثلاث نقاط تمثل استراتيجية ريادية نبوية على صاحبها الصلاة والسلام من القيام بالتآلف والتآخى والتأنى والتصبر وعدم التسرع فى أخذ زمام الحكم والفتيا وعدم الإسراع إلى الإغارة والهجوم قبل إتمام آداب الدعوة المصحوبة بالحب والجمال. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤثر اعتناق القوم للإسلام على قتل رجالهم وسبى

أطفالهم ونسائهم، ويوصى بدعوتهم إلى الله، وتألّف نفوسهم والتأنى بهم قبل إعلان الحرب عليهم ولا يفرق فى ذلك بين أهل مَدَر ولا وَبَر" (7).

هذه التعليمات المليئة بالدلالات التى تنم عن الوحيين؛ المتلو وغير المتلو دالة على أن الإسلام مذ مطلعه الأول فى الجزيرة العربية منوط بالنقطتين الرئيستين؛ الإنسانية والإنسان، وهاتان الوحدتان أصبحتا أساسى اليقين الناجم عن النصيحة المبينة فى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ﴾ (8)، "إذ يبدو للسامع أن القتال لأجل دخول العدو فى الإسلام فبين فى هذه الآية أنه لا إكراه على الدخول فى الإسلام" (9). ومن ثَمَّ تتالت الدعوات الإسلامية داخل الجزيرة وخارجها بالحوار والتفاوض والمبادلة ابتغاء الوصول إلى تسوية المعاملات واتفاق الأصول واحترام الآراء من خلال تبادل الأفكار والإحساسات الحاملة من الشعور الصادق والعفو الكامن.

فكلمة "الرسول" فى ذاتها تدرس دراسة واعية لمفاهيم الرسالة المبنية على التحاور والتبادل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (10)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (11)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (12).

وهكذا اقتضت طبيعة الرسالة أن يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من الدبلوماسية وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية بين العشائر والقبائل والبطون والشعوب والدول حتى يكون أسوة حسنة لآخر من هو فى أقاصى الأرض تنبض به الحياة.

السِّلْم المدنى؛ معناه ومفهومه:

كلمة "السلم" تؤنث تأنيث نقيضها وهى الحرب، قال العباس بن مرداس: [البسيط]

السّلْمُ تأْخُذُ منها ما رضيتَ بــهِ والحربُ يَكْفِيْكَ من أنفاسِها جُرَعُ (13)

وقرئت "السلم" بفتح السين وكسرها (14).

الدبلوماسية؛ معناها ومفهومها:

أخذ المعجم العربى أصل كلمة "دبلوماسية" من الإغريق (15) ما كانت تعنى بـ "الوثيقة الرسمية" التى تصدر عن رئيس الدولة... إلخ. ثم شاع استعمال هذه الكلمة فى الدويلات اليونانية حتى عادت أن تحتوى الوثائق الرسمية الأخرى مثل الاتفاقيات مع القبائل والجماعات الوافدة والأجنبية حتى أواخر القرن السابع عشر حيث أصبح يطلق – مؤخرا – على الشئون السياسية الخارجية... إلخ (16).

الدبلوماسية فى الاصطلاح:

يقول سير ارنست ماسون ساتو Sir Ernest Mason Satow [1843-1929] (17) عن الدبلوماسية بأنها: "استعمال الذكاء والكياسة فى إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة" (18). وهذه الغاية المرموقة لا تتحقق دونما مراعاة الدواعى التى تؤدى نحو البقاء على الطرق السلمية.

وعرَّفت دائرة المعارف البريطانية "الدبلوماسية" بأنها "فن إدارة المفاوضات الدولية" [19]، وعلم "له قواعده، وفن له أصوله، ومهنة له تقاليدها، لا تختلف من دولة لدولة، ومن مجموعة إقليمية إلى أخرى" [20].

فالدبلوماسية حسب رؤية الجميع بشكل عميم عبارة عن "مجموعة المفاهيم والقواعد والإجراءات والمراسم... التى تنظم العلاقات بين الدول... بهدف خدمة المصالح العليا الأمنية والاقتصادية والسياسات العامة للدول، وللتوفيق بين مصالح الدول بواسطة الاتصال والتبادل وإجراء المفاوضات السياسية وعقد الاتفاقات والمعاهدات الدولية" [21]. وأخيرا أمضى الدبلوماسى هو المفاوض المسئول عن تتبع الأحداث بكل حزم ومهارة.

مصطلحات تم استعمالها فى الإسلام للدبلوماسية:

استعمل العرب مصطلح "السفارة" بدلا من "الدبلوماسية" فى صدر الإسلام حتى لفترة طويلة. ومن منظور علاقات دولية ووطنية كانت السفارة وما تزال تعنى بإيفاد شخص مزمع دوره من قبل ولى الأمر إلى أحد الأقطار بغية إيجاد التراخى والتعاون والتوادّ والتحابّ وغيرها تأكيدا على عقد رباط التفاعل والتعاون والوئام والتعاهد [22].

هاتان الكلمتان؛ "السفارة"، و"الدبلوماسية" وإن كانتا متباعدتى الفترة ولكنهما فى الوقت نفسه متقاربتى المدلول والمعنى والدلالة، كلتا الكلمتين قد عنيتا بكتاب رسمى يشمل مبادئ وأعرافا وقواعد واتفاقيات دولية تقود إلى إجراء المفاوضات وعقد المعاهدات والتوفيق بين مصالح الدول المتعارضةِ الهويةَ [23].

كلمة "السفارة" تحمل بين طياتها معان أخرى مثل القيام بعملية الصلح والمصالحة بين الشعوب والأفراد، وتفحص الأمر بالحوار والكشف والتعبير عما يخالج الأنفس، كأنما يقال: سفرت بين القوم أي: سعيت بينهم فى الإصلاح [24]، فالسفارة بهذا المعنى عنيت بالكشف عما فى قلبى الإنسانين من أجل الإصلاح.

فالسفارة والدبلوماسية كلمتان مترادفتى الفحوى والمغزى، السفارة كالدبلوماسية والسفير كالدبلوماسى أو العكس، فالكلمة التى تحدِّد هُوِيَّةَ السفارة الإسلامية فى العصر الراهن هى "الدبلوماسية الإسلامية". ويطابق هذا المفهوم للسفارة ما نجده فى إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم الرسلَ والسفراءَ إلى مهمات معينة وجهات مخصصة.

كلمة "السفارة" عربية أصيلة، وذلك على خلاف كلمة "الدبلوماسية"، فهى مستوردة، ودخلت العربيةَ حديثا، ثمة كلمة أخرى وهى "كتاب"، إنها عبارة عن الوثيقة التى يتبادلها أصحاب السلطة فيما بينهم، والتى تمنح حاملها مزايا الحماية والأمان، ومن هنا اقتربت كلمة "كتاب" معنى ودلالة إلى كلمة "دبلوماسية" بمعناها الذى كان متعارفا عليه عند الإغريق [25].

ما أوحى الله به إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بشأن السفارة/الدبلوماسية:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلِّم الأوَّل للسفراء المسلمين، إنه مؤسس نظام الدبلوماسية الإسلامية، وواضع أصولها الثابتة وقواعدها المرصوصة ومنهاجها القويم. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [26]، فبيَّن فى هذه الآية ضوابط الدعوة وهى أن يجمع الداعى شمل القوم بإظهار اللطف بهم من خلال المخاطبة المصحوبة بالحكمة أى "بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة" [27]، والموعظة الحسنة وهى أى "الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك

تناصحهم وتقصد ما ينفعهم" [28]، والمجادلة وهى المناظرة بالطريقة التى هى أحسنها "من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم" [29].

وهو أول من دعا إلى اعتبار الأسس والقواعد التى لابد منها فى تنظيم العلاقات الودية الفردية والجماعية والوطنية والدولية مثل مراعاة الكرامة الإنسانية، وأن الناس جميعا أمة واحدة، والتعاون الإنسانى والتسامح والحرية والفضيلة والعدالة والمعاملة بالمثل والوفاء بالعهد والمودة ومنع الفساد والسعى نحو السلم وهو الأصل فى العلاقات [30].

وسائل الدبلوماسية الاجتماعية فى المدينة المنورة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم:

أسس الإسلام قواعد الدعوة على الرائب من الأساليب الدبلوماسية، فالأسلوب الدبلوماسى هو المتبع الأوحد فى صدر الإسلام لنشر السلم والسعادة، وفضِّ النزاعة والخصومة، وتحقيق المصالح الوطنية والدولية. إن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنبل النماذج البشرية وأشرفها وأكرمها فى نجاحات السياسة الدبلوماسية لكونها قائمة على التعايش والتضامن السلمى بين شرائح المجتمع وفئاته وجوانبه كافة، إنه أرشد الأمم قاطبة إلى أن تعيش الأنظمة السياسية المختلفة جنبا إلى جنب بسلام مع احتفاظ كل منها بطابعه وعقيدته.

مقوِّمات السفارة/الدبلوماسية الإسلامية

حرية الكلمة:

السلم، وترويج التسامح، والانفتاح على الآخر، والاعتراف به عن طريق ثقافة الحوار، وتعزيز عملية قبول رأى الآخر، واحترامه، ورفض جميع أشكال العنف والتطرف فى العقيدة والفكر والممارسة، والإيمان بمبدأ الحوار الديموقراطى الشفاف، وحرية الكلمة والتعبير وهى ليست عبارة عن اللبرالية والشيوعية وأخواتهما بل إنها عبارة عن حركة فلسفية تتميز بفكرة التقدم والتفاؤل والإيمان بالنقل؛ الثقة بالتقاليد والعقل؛ الثقة بالفكر البشرى القائم على العدالة والحكمة والشجاعة والعفة، "فلا حرية بدون عدل، ولا يوجد عدل إذا غابت الحرية، والحرية هنا حرية المعتقد لكافة الناس والشعوب والأفراد" [31].

ثمة سؤال يتبادر إلى الذهن وهو لماذا أصبحت النشاطات الإنسانية كلها منوطة بتلك الحرية؟ "لأن الحرية غريزة فطرية ومفهوم رائع تلتقى فى فلكه المشاعر وتتجاوب معه العواطف وتتطلع إليه النفوس" [32]. وهذه حقيقة لا يمكن مردها إلى الأعقاب، إنها ليست شيئا ثانويا فى حياة الإنسان بل هى أمنية صادقة تترعرع فى قلب الإنسان، وتغمره بمعروفه وفضله وعطائه نتيجة لكونها تعبيرا عن إرادته وترجمة صادقة لتفكيره. لا تتحقق الإرادة من غير الحرية، وعدم تحقيق الإرادة يؤدى نحو تكبيل الإنسان، ووأد طموحاته، وكبت تطلعاته، وخنق مساعيه.

فالحرية منحة إلهية للإنسان حيث يسير عتبات الحياة مكلَّلة ومتوَّجة بها، هذه الحرية لا تعنى أبدا مستوجبات الليبرالية أو الشيوعية أو التنويرية كذا وكذا بل إنها تعنى الاقتصاد المعنوى والاستواء الخلقى والاعتدال الروحى فى كل شىء وهو وسط الأمر وخياره. جعل الله الإنسان ذا مزايا وفضائل – لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى – تجلبه نحو الخير، وغرائز وطبائع وقرائح تقوده نحو الشر اللهم إلا أنه قد مكَّنه من قهر الميول الغريزية وإماتتها أو تحديدها لتستقيم

وتعتدل. تشمل هذه الحرية مدلولات الحياة من الحركات الفردية والاجتماعية كافة وما يتعلق من الأمور بالطعام والشراب واللهو واللعب والغرائز والميول وهلم جرا.

هذه الحرية مبدأ وحيد فى تمكين الإنسان من العثور على مكانته ومنزلته وحريته وطلاقته، ثمة مرتكزات عديدة إن الحرية العادلة تقوم عليها فى الإسلام للإنسان، إنها من أقوى الأسس والقواعد، وعلى سبيل المثال نأخذ العقيدة، فالإسلام مذ مطلعه لم يكن دينا للتقليد والاتباع الأعمى بل إنه أول دين نبش جذور تقليد الأسلاف والآباء، إنه يريد إيمانا نابضا من قلب صادق مصحوبا بنية خالصة لوجه الله وحده قائما على الحجة والبرهان. لا يقر الإسلامُ الاستبدادَ ولا الإرادةَ المفروضةَ، إنه يفضِّل التشاورَ من أجل استخراج الرأى الصائب، والوصول إلى الحكم الأفضل عبر الأخلاق السامية لكونها هى المظهر الأول لشجاعة الدبلوماسى ومروءته.

من أهم وظائف الدبلوماسية الإسلامية التى تتحقق من خلال تفعيلها هو التقريب بين القلبين أو القلوب المتباعدة أو المتنافرة، وهذه الغاية المرموقة لا تتحقق دونما الصدق والمعرفة والحب والعزة والتواضع والفقه والوفاء، وهذه الصفات هى التى توصف بالأخلاق الفاضلة والخُلُق السامية، وقد كانت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم متصفة بهذه الملامح الجليلة والاعتبارات النبيلة.

وقال ابن هشام: "فشبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلا، وأفضلَ قومه مروءةً، وأحسنَهم خُلُقا، وأكرمَهم حسبا، وأحسنَهم جوارا، وأعظمَهم حلما، وأصدقَهم حديثا، وأعظمَهم أمانة، وأبعدَهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزها وتكرما، حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة" [33].

ثمة حكمة رائعة رُفِعَتْ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد جاءت فى المعجم الصغير للطبرانى وهى: "ما خابَ من استخارَ، ولا نَدِمَ من استشارَ، ولا عالَ من اقتصد" [34]، ففى هذا النص نداء الاستخارة والاستشارة، وهما أساسا الخير فالخير، وقال: "من أراد أمراً فشاور فيه امرأً مسلما وَفَّقَه اللهُ لأرشدِ أموره" [35].

فكانت سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم قائمة على أساس الشورى فى القضايا التى ليس فيها وحى ولم تكن هناك طريقة ثانية للشورى بل كانت تطبيقاتها متنوعة بحسب الحادثة وأهميتها والظروف المحيطة بها، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير فيما لم ينزل فيه تشريع لقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [36]، وعن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – قال: قلت يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "الأمر ينزل بنا بعدك لم ينزل به القرآن ولم نسمع فيه منك شيئا؟ قال: أجمعوا له العالمين أو قال: العابدين من المؤمنين، واجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد" [37].

كان لأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم دور رئيس فى نشر الدعوة الإسلامية، فقد كان برا ورحيما، كامل الرجولة، عذب الحديث، محب العدل، يعطى كل ذى حق حقه، ينظر إلى الضعيف واليتم وإلى البائس الفقير والمسكين نظرة الأبوة والأخوة والحنان والعطف والمودة، آمن به من عرف الطهارة والنزاهة.

وكما أن الدبلوماسي يبذل كل جهوده فى أداء مهمته ولا يخاف الظلم والقهر هكذا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كَذَّبَه السفهاء وآذوه إيذاء سيئا فرموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ولكنه ظل فى نهجه حتى اضطرت قريش [38] إلى سياسة التوفيق والإغراء بعد فشلهم من سياسة أساليب الاضطهاد والقمع من المال والمرأة والسيادة إلخ وقد رَدَّ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بسورة السجدة، هكذا وجدت قريش أمامها رجلا لا مطمح له من مال ولا تشريف ولا ملك، وإنما دعا إلى الخير ودفع بالتى هى أحسن بكل ثبات وعزيمة واستقامة وصبر.

المنطلقات الدبلوماسية قبل البعثة

ظهرت الجوانب الدبلوماسية فى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته، لما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره، حين جددت قريش بناء الكعبة المشرفة فقد اختلفت القبائل فيمن يضع الحجر الأسود مكانه بعد اتفاقهم على إعادة بناء الكعبة ثم اتفقوا على أن يحكم [39] فوقع عليه اختيار قومه لتحكيمه العادل فى الخلاف الذى وقع بينهم حول من يكون له شرف وضع الحجر الأسود مكانه. هذه القصة من الأمثلة النادرة لدبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثمة ممارسات للشورى عديدة أسهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيها قبل البعثة مثل حضوره حلف الفضول فى دار عبد الله بن جدعان لنصرة المظلوم والذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: "لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا...

ممارسة الرسول صلى الله عليه وسلم مهمته الدبلوماسية فى مكة:

بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم مهمته الدبلوماسية عندما كُلِّفَ بالرسالة، وقد كان فى الأربعين من عمره المبارك [(40)]. استمر الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يدعو سرا إلى الإسلام كل من يثق فيه ويطمئن إلى استعداده النفسى لقبول الدعوة حتى نزل الأمر بالجهر بالدعوة حين قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [(41)]

وامتثالا لأوامر الله تعالى اتصل الرسول صلى الله عليه وسلم بعشيرته ودعاهم إلى مائدة طعامه ثم تكلم فقال: "يا بنى عبد المطلب؛ إنى والله ما أعلم شابا فى العرب جاء قومَه بأفضل مما جئتكم به؛ إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصى وخليفتى فيكم؟" [42] عندما سمع القوم ذلك فأحجم عنه؛ فكأنهم لم يسمعوا شيئا، وظلوا كذلك استحقارا واستهانة واستخفافا، إلا أن عليا – رضى الله عنه – فأدرك الأمر وكان أحدثهم سنا، وأصغرهم رشدا، وأرمصهم عينا، فقدم نفسه للرسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: "أنا يا نبى الله، أكون وزيرك عليه"، [43] فأخذ النبى عليه الصلاة والسلام برقبته ثم قال: "إن هذا أخى ووصىّ وخليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوه. فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع" [(44)] ثم انصرفوا"، [(45)] وهم ضاحكون، مستهزءون.

هذا أسلوب سلمى دبلوماسى معروف فى عصرنا الحاضر حيث يتقابل المفاوضون والسفراء والدبلوماسيون على طاولة الطعام قبل المفاوضات أو تبادل الآراء مع ذوى الشأن والسيادة بغية الوصول إلى ميثاقِ تفاهمٍ وتوافق

ووئام وتألف، وبذلك تتمكن الدبلوماسية من القضاء على تخفيف الحدة وتقليل التوتر والارتباك وتمكين الطرفين من تجنب التشاحن والاختلاف والنزاع، إقامة مأدب ممتاز يحدث تأثيرا خلقيا، وبذلك يستطيع كلا الطرفين إقناع ضيوف المائدة بكل انبساط وسرور.

بعد إبلاغ عشيرته الأقربين انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة، فخاطبهم قائلا: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي... [46]. وهذه قصة ملئت بها التواليف الكبرى والمصادر العليا، إنهم آمنوا بصدق قوله ووفاء وعده قائلين: لا شية فيك من نقص أو كذب.

أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قريشا قبيلة قبيلة فعَمَّها بالدعوة وشملها حتى أن مَرَّ على آخرها [47]. إن المفاوض الناجح لا ييأس من النتائج الأولى بل إنه يستمر فى سعيه للوصول إلى الأهداف السامية. كذلك استمر الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله تعالى ليلا ونهارا، سرا وجهارا، يتبع الناس فى أنديتهم ومجالسهم ومحافلهم فى المواسم ومواقف الحج يدعو من لقيه من حر وعبد، ضعيف وقوى، غنى وفقير [48] امتثالا لما أمره الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [49].

يتطلب العمل الدبلوماسى الشجاعة والاستعداد والتضحية بالمصالح بحيث يكون الدبلوماسى الناجح حريصا على حفظ رسالته حتى فى أشد الأزمات، ملتزما الهدوء فى تفكيره وتخطيط تصرفاته آملا منه النجاح المؤكد.

وهذا ما نجده فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لم يقبل ضغوط قريش عندما قال له عمه أبو طالب (3 ق/620م): "يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا فابْقِ علىَّ وعلى نفسك ولا تحمِّلنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك... [50]، عندما سمع النبى صلى الله عليه وسلم ذلك، فقال: "يا عمِّ لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه"[51]. هذه قصة وهى ما زالت ماثلة فى الأذهان ملئت بها كتب السير والتاريخ، تتبين كيف قام الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الموقف الخطير بالعزم والصبر والتجلد، وكيف تجنب شر الفشل والخيبة والخذلان.

إنجازات دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم:

واصل الرسول صلى الله عليه وسلم مجهوداته فى سبيل نشر الإسلام بين الناس رغم معارضة قريش وحصارها، كان يعرض نفسه فى موسم الحج على القبائل داعيا إلى الإسلام من أقبل إلى مكة من سائر العرب، ومن هؤلاء جماعة من الأوس والخزرج قابلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة، وقد حصل بينه وبينهم نوع من المفاوضات، ودعاهم فيها إلى الإسلام حتى نصر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن آمن به زعماء يثرب فصدقوه ثم عاهدوه على أن ينصروه ويدافعوا عنه يدفعوا عنه ما يدفعوا عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم من الأذى، وسميت هذه البيعة [52] ببيعة العقبة الأولى أو بيعة النساء [53] على اختلاف الآراء.

ولما انصرف القوم عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث معه أبا عبد الله مصعب بن عمير (ت 3هـ/625م) "ليعلم الناس القرآن، ويصلى بهم" [54]، بذل مصعب بن عمير مجهودات جبارة فى تهيئة المدينة لاستقبال الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفی السنة الثالثة عشر من البعثة خرج ثلاثة وسبعون رجلا [55]، واصطحبتهم امرأتان من نسائهم، "نسيبة بنت كعب أم عُمَارةَ، إحدى نساء بنى مازن بن النجار، وأسماء ابنة عمرِو بن عدى بن نابى، إحدى نساء بنى سلِمَة وهى أم منيع" [56] من المدينة قاصدين مكة حيث بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى العقبة البيعةَ الثانيةَ، وقد قالهم الرسول صلى الله عليه وسلم حين المبايعة واستجابة طلبهم: "تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل، والنفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن تقولوا فى الله لا تخافون فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى، فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة" [57] وفى رواية وردت الألفاظ هكذا: "أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم" [58]. وسميت هذه البيعة ببيعة العقبة الثانية أو الكبرى، لأنها تلت البيعة الأولى التى تمت فى العام الثانى عشر من البعثة النبوية الشريفة.

كل هذا من مجارى التاريخ وأغواره وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدافع عن الإسلام والمسلمين بالتى هى أحسن دون أن يستل سيفا أو يعلن حربا ملتزما الدعوة السلمية المصحوبة بالحجة والإقناع.

تحقيق الأمن والعدالة لمسيرة الحوكمة الرشيدة

كان أول ثمار الدبلوماسية التى أرسى قواعدَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إقرار الأمن والنظام فى المدينة المنوّرة وتخفيف حدَّة التوتر والعنف المتصاعد بين الأوس والخزرج المتصارعين على التزعم والحكم والسيطرة السياسية على المدينة [59]. وهذا بعد أن أصبحت أرض الجزيرة العربية مهيأة للتعليمات الإلهية التى تهدى إلى الصراط المستقيم.

الاقتصاد والاعتدال فى الحياة والمعاش لتتزن الأمور وتتسم السياسات

اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم خلال العام الأول للهجرة بإقرار الأمن وتحقيق النظام فى مدينة يثرب، فبعد كسبه ثقة الأوس والخزرج أصبح الحكم الذى يرجعون إليه فى شئونهم الصغيرة منها والكبيرة، وقد استطاع التغلب على الأسباب المؤدية إلى النزاع والخصام رويدا رويدا، ونجح فى نهاية المطاف فى تهيئة الأرضية المشتركة التى يلتقون فيها مع المهاجرين كما استطاع أن يعزل اليهود وأن يضعف تأثيرهم خصوصا وأنهم لاحظوا التفاف القبائل حول قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لهم بديل غير دخولهم معه فى نوع من العلاقات كبقية السكان [60]. وبذلك نجح فى خلق التوازن فى الحياة والمعاش من خلال المسير على منهج التعايش السلمى والمدنى.

ميثاق المدينة العالمى

وهكذا اجتمع الأنصار والمهاجرون من جهة واليهود من جهة أخرى على اتفاقية سميت بميثاق المدينة، وقد أصبح هذا الميثاق دستورا جديدا للدولة الإسلامية فى المدينة، ولا زال يعتبر أول دستور كتابى فى تاريخ الدساتير العالمية[61]. ميثاق المدينة دستور يحمل طابعا سلميا ويتسم به، مضى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا الهدف السامى دون أن يقع فى أسلوب ردود الأفعال العنيفة مضحيا العديد من المصالح الظرفية، متجشما الكثير من صعوبات الطريق. وبذلك احتفظت سلوكيات الرسول صلى الله عليه وسلم بسمعة طيبة بين الناس لسلوكها السلمى فى نشر أفكارها والتبشير بمبادئها.

سيضاف عنصر جديد فى العلاقات الخارجية إلى السياسية الدبلوماسية النبوية – على صاحبها الصلاة والسلام – وهو عنصر القوة للدفاع عن الدولة وتأمين الدعوة الإسلامية وكسر شوكة قريش إلا أنه فى هذه الفترة كذلك كان للدبلوماسية المقام الأول حيث دخل الرسول صلى الله عليه وسلم فى معاهدات دفاعية مع قبائل بنى حمزة ومدلج وغيرها تدعمه ويدعمها عند أى خطب وخطر.

منطلقات نفسية للسنة النبوية الشريفة:

الزهد والتطبيق العملى:

إن الرسول – عليه الصلاة والسلام – طبق ما أوتى به من الكتاب وما معه من وحى السماء من المبادئ الملموسة، دخل عمر بن الخطاب ذات يوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده على "حصير ما بينه وبينه شيء، تحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قرظا مصبورا، وعند رأسه أهب معلقة" [62] فاغرورقت عينا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فبكى، وعندما استفسر الرسول صلى الله عليه وسلم عن سبب بكائه: قال عمر: "يا رسول الله، إن كسرى [63] وقيصر [64] فيما هما فيه، وأنت رسول الله" [65] فقال: "أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة" [66].

استخدم النبى – عليه الصلاة والسلام – أصبعيه الكريمتين؛ الوسطى والتى تلى الإبهام عند الحديث عن مكانة كافل اليتيم وهو القائم بأموره حيث ينفق عليه، ويكسوه، ويؤدبه، ويربيه وغير ذلك قائلا: "أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه يعنى السبابة والوسطى" [67].

إن النبى – عليه الصلاة والسلام – هو القدوة الحسنة، والقرآن ناطق بذلك: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [68] والسلم المدنى يتحقق من خلال تحقيق التربية الروحية والتربية العقلية والتربية الخلقية والتربية الجمالية والتربية الجسمية والتربية الاجتماعية معا، وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم وقدم نفسه أنموذجا أمثل وأنبل للأمة جمعاء.

عقب انتصار بدر – الانتصار العسكرى:

تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع عديد من القضايا بحكمته المعهودة وحسه الدبلوماسى ومشاعره الإنسانية، ومن هذه القضايا قضية الأسرى، لم يتعامل الرسول صلى الله عليه وسلم معهم بأسلوب فيه انتقام وعنف بل إنه وهبهم حريتهم لقاء مقابل تمثل فى أخذ المال من سادات قريش وأغنيائها الذين أسلم الكثير منهم لاحقا بالإضافة إلى ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد وبعدها، ومستخلص الكلمة فى هذا الباب كان النبى صلى الله عليه وسلم يمن على بعضهم، ويقتل بعضهم، ويفادى بعضهم بالمال، وبعضهم بأسرى المسلمين، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة، ففادى أسارى بدر بمال" [69] وقال: "لو كان مطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى، لأطلقتهم له" [70] وبذلك تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من استعادة هيبة المسلمين وسطوتهم فى النفوس رغم الهزيمة العسكرية.

دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم خلال غزوة الخندق (الأحزاب):

اجتمعت قريش وأصحابها وأحلافها من القبائل العربية تحت قيادة أبي سفيان للقضاء على المسلمين حتى بكرة أبيهم وتدمير دولتهم حتى أقصاها واستئصال أمرهم عن آخره، فأشار أحد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسى [71] إلى أسلوب جديد للدفاع عن المدينة وسكانها وهو حفر الخندق حول المدينة من ناحية الشمال، "فقال للنبى صلى الله عليه وسلم إنا كنا بفارس إذا حوصرنا، خندقنا علينا، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين" [72]، وعندما أقبل جنود من قريش لغزو المسلمين ووطئهم وجدوا الخندق يحول دونهم فدهشوا واقفين عليه فقالوا: "والله إن هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها" [73].

انتهز الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المهلة لاستغلال تناقضات العدو ولدعم الالتحام الداخلى للمدينة، فنشطت الجهود الدبلوماسية حيث أرسل سفيريه سعد بن معاذ بن النعمان الأشهلى وهو أحد أسياد الأوس[74]، وسعد بن عبادة بن دليم وهو أحد أسياد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج [75]، ومعهما عبد الله ابن رواحة أخو بنى الحارث بن الخزرج [76] وخوّات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف [77] إلى بنى قريظة قائلا: "انطلقوا حتى تنتظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم، فإن كان حقا فالحنوا إلى لحنا حتى أعرفه، ولا تفتّوا فى أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا بذلك للناس" [78] فخرجت الجماعة وأتتهم فوجدتهم على أقبح وأخبث ما بلغهم عنهم، ولما خاطبتهم فقالوا: "من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد، ولا عقد" [79]. فعل النبى صلى الله عليه وسلم لتأكيد اتفاقيتهم مع المسلمين، ولم يعجل بالحكم عليهم بل فتش الأمر بكل دقة وحققه بكل أمانة كيلا يعدل عن الحق وألا يستميل إلى الهوى.

وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يبتكر الوسائل لتثبيط عزائم الكفار وإيجاد ثغرتهم فى تحالفهم، فبعث سفيره "إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى، وهما قائدا غطفان" [80] من أحلاف قريش، ساومها على ثلث ثمار المدينة، "فأعطاهما على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح" [81] إن هو ارتحل فذهب فى ذاك الأوان نعيم بن مسعود [82] بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة، ولم يكن إسلامه معروفا، وقد نجح فى مهمته حيث خذل المشركين وبنى قريظة، فاضطربت صفوفهم، وارتجفت خيولهم، وانتشر الرعب بينهم حتى أوهنتهم رياح شديدة، ففكوا الحصار ورجعوا إلى مكة خائبين آمالهم، وخاسرين أغراضهم [83].

هذا الجهد الدبلوماسى الذى قام به الرسول صلى الله عليه وسلم فى جو الحصار والحرب كانت كفيلة بتحقيق نصر سياسى هام على قريش وأحلافها. هكذا فاز المسلمون فى غزوة الأحزاب دون اللجوء إلى الحرب بفضل سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم فى إقامة بناء الدبلوماسية الإسلامية. حقق الرسول صلى الله عليه وسلم الهدف النبيل وهو الدعوة المحكمة إلى الله وخاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه الذى رسمه بكل ذكاء وخطط سبل الوصول إليه بكل كياسة فرفع الحواجز والعوائق صغيرها وكبيرها وأوجد الصلات والعلاقات قريبها وبعيدها التى كانت تؤدى إلى قبول الدعوة الإسلامية بالطريق السلمى.

بيعة الرضوان:

حينما شاع مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه الذى أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم مفاوضا عنه قريشا، فدعا القوم إلى البيعة، "فثار المسلمون إلى رسول صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة فبايعوه ألا يفروا، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد نفسه، وقال: هذه عن عثمان" [84] فكانت بيعة الرضوان تحت شجرة سمرة فى الحديبية التى أنزل الله عنها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [85].

لما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك أظهر جلده قائلا: "فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى حتى تنفرد سالفتى، أو لينفذن الله أمره" [86].

فلما علمت قريش من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بلَّغهم بديل بن ورقاء الخزاعى ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، اختارت عروة بن مسعود الثقفى ليفحص الأمر ويرمقه بعين الجدية والاعتبار، أتى عروة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعظم أمره بين أصحابه حيث إذا أمرهم رسولهم صلى الله عليه وسلم "ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه وقال: أى قوم! والله لقد وفدت على الملوك: على كسرى وقيصر والنجاشى والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، ووصف لهم ما رآه" [87].

ولما سمعت قريش بهذا بعثت وفدا على رأسه سهيل بن عمرو ليفاوض الرسول صلى الله عليه وسلم فى عدول المسلمين عن دخول مكة هذا العام على أن يرجعوا العام المقبل، كما اتفقوا على وضع حد للحرب لمدة عشر سنوات وقد وافق هذا خطة المسلمين فى كسر المواطأة التى كانت بين أهل مكة وأهل خيبر وهى معروفة [88].

ومما يجدر ملاحظته هو أن كل الأحداث الدبلوماسية التى وقعت فى هذا الصلح كانت حجرا للأساس فى تكوين القوانين الدبلوماسية الإسلامية، فعملية المفاوضات وتبادل السفراء والوصول إلى حل وسط وعقد الاتفاق كانت كلها أنموذجا متكاملا للدبلوماسية فى الإسلام. وهكذا بفضل دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم توسعت علاقات الدولة الإسلامية فى داخل جزيرة العرب وخارجها.

الهدف بين هدنة الحديبية وغزوة تبوك:

هذه الفترة شدية الخطر وعظيمة الأثر فى تكوين الدولة الإسلامية، شهدت هذه الفترة تقدم الرسول صلى الله عليه وسلم السريع نحو تحقيق هدف وحدة القبائل فى شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام، والدافع الوحيد هو كسب المؤيدين والأنصار بكل الطرق السلمية، ففى هذه الفترة بعث الرسول صلى الله عليه وسلم سفراءه إلى الملوك، واستقبل كذلك البعثات الدبلوماسية الأجنبية فى المدينة، وفى كثير من الحالات لاقت هذه البعثات التى أرسلت إلى داخل جزيرة العرب وخارجها نجاحا كبيرا عن طريق الإقناع بالحسنى.

و"لقد سمى الله هذا الصلح فتحا، حين أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم فى طريق عودته إلى المدينة قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [89]. فسأله رجل: أفتح هو؟ فقال: "نعم والذى نفسى بيده، إنه لفتح"[90]. ومن أهم نتائج هذا الصلح ما يلى:

اعترفت قريش من خلال توقيعها مع المسلمين على دستور ميثاق الصلح ومعاهدته بدولة المسلمين طوعا كان ذلك أو كرها. دخل بعض القبائل مثل الخزاعة فى التحالف مع المسلمين علنا، دون خوف من قريش حيث ضربها بالحائط. انتهز المسلمون تلك الفترة التى توقفت الحرب فيها مع قريش لتصفية الحساب مع أعداء آخرين للإسلام، فتم غزو اليهود فى خيبر سنة سبع، وغزو غطفان فى نجد، وبعث جيش إلى مؤتة شمال الجزيرة، وآخر فى غزوة ذات السلاسل لتأديب بعض القبائل الموالية للروم.

اغتنم الرسول صلى الله عليه وسلم فرصة الصلح حيث قام بمكاتبة الملوك والرؤساء فى الجزيرة وخارجها، يدعوهم للإسلام، وبذلك تعرفت كثير من القبائل على الإسلام فدخلوا دين الله أفواجا، وهكذا "هيأ صلح الحديبية للنبى صلى الله عليه وسلم فرصة كبيرة للانتقال بالدعوة إلى الميدان العالمى، تحقيقا للمهمة التى بعثه الله بها للعالم أجمع" [91].

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بنى الحارث بن كعب فى اليمن:

لما أسلم بنو الحارث بن كعب قبل مقدم خالد بن الوليد إلى مقاتلتهم، وأجابوا دعوته إلى الإسلام، فأبلغ خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، استدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا: "فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدهم" [92]، فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه وفد بنى الحمارث بن كعب، فلما قدموا ولقوا النبى صلى الله عليه وسلم واستمعوا إليه بآذان صاغية، فنبههم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريقة حكيمة فيها تبشير وإنذار، ترغيب وترهيب، ثم بعث إليهم بعد مغادرتهم عمرو بن حزم "ليفقههم فى الدين، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتابا عهد إليه فيه عهده، وأمره فيه بأمره" [93] فأمره بتقوى الله فى أصغر الأمور وأكبرها، وأوصاه بالإحسان والعدل والقسط، ونصحه بأن يبشر الناس بالخير، وينذرهم بالنار، ويعلمهم، ويفقههم، ويقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

كم كان النبى صلى الله عليه وسلم حكيما حيث استدعى القوم بعد أن أسلم، فنبهه على امتناعه ثم جعله يشعر بأنه لولم يسلم لهلك وخسر خير الدنيا والآخرة ثم اعتنى به فكأنه بصير ومدبر لما يقبل عليه القوم، فبعث إليه بعد أن ولىَّ أحدَ أصحابه ليهديهم إلى سواء السبيل، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم.

هذه القصة تكشف للقارئ أحد الأصول الذهبية للدبلوماسية الحقة وهو التعامل مع المسالم والمصالح، ولاسيما مع من أسلم نفسه ولم يقف وقوفا عدائيا أو مفاوضا بل عجز عن الصمود واعترف بالوهن وأجاب الدعوة دون عقد الشرط بطريقة تحمل بين طواياها من ليونة وخشونة، رفق وشدة، نهر وزجر، غضب وسرور بغية الحفاظ على الحرمة والقدر والمكانة والقوة ليكون الأمر وجيها بين الأعيان.

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل:

أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة [94] إلى قيصر عظيم الروم داعيا إياه إلى الإسلام وقد حمله كتابا منه داعيا فيه إلى السلم والمسالمة والمفاوضة [95].

السفارتان إلى النجاشي [96] فى الحبشة:

الأولى: اختار الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عمه جعفر بن أبى طالب (ت 8هـ/629م) الذى فاوض عنه عند النجاشى ملك الحبشة [97].

الثانية: بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عمرو بن أميَّة الضّمرى [98] سفيرا فى هذه البعثة. وقد حاولت قريش إقناع النجاشى مرة أخرى بإعطائها المسلمين اللاجئين هناك، أو طردهم، فكان هدف بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إقال مخطط قريش ومسح تأثيرها فى النجاشى وفى هذه المرة نشطت سفارة قريش وأسلم عمرو بن العاص [99] رئيس وفدها على يد النجاشى.

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كسرى:

روى البخاري (ت 256هـ/870م) أن رسول صلى الله عليه وسلم بعث كتابه إلى كسرى ملك الفرس مع عبد الله بن حذافة السهمى [100] (ت نحو 33هـ/653م)، فأرسل له كتاب يحمل بين ثناياه من الكلام المقنع [101].

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقِس [102] صاحب مصر:

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبى بلتعة اللخمى [103] إلى المقوقس عظيم القبط (ملك مصر والإسكندرية) بدعوة إلى الإسلام [104].

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك الغساسنة بالشام:

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهبٍ الأسَدى [105] (ت 12هـ/633م) وهو أحد الستة إلى شَمر بن الحارث بن أبى عمر الغسانى يدعوه إلى الإسلام.

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملكى اليمامة هوذة:

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامرى [106] إلى أثال، وهوذة بن على [107]الحنفيين ملكى اليمامة، وكتب إليهما كتابا [108].

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين:

أوفد الرسول صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوَى بن الأخنس من عبد القيس والى البحرين – ودفع له اليهود فيها الجزية – [109].

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملكى عُمَانَ:

كتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى ملك عمان كتابا، وبعثه مع عمرو بن العاص قائلا: من محمد بن عبد الله، إلى جيفرٍ، وعبدٍ ابنى الجلندى الخ [110].

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبى شِمْرٍ الغسّانى ملك تخوم الشام:

كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى كتابا مع شجاع بن وهب مرجعه من الحديبية [111]، ويقال: بعثه إلى جبلة بن الأيهم الغسانى [112]، والمهاجرَ بن أبى أمية المخزومى [113] إلى الحارث بن عبد كلال الحميرى ملك اليمن [114].

بعثة السفراء السِرِّيِّيْنَ:

أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم عمه العباس مبعوثا سريًّا فى مكة، والمنذر بن عمرو بن خنيس الساعدى فى نجد ليزوّداه بالمعلومات عن أحوال الجهة وأحداثها التى بُعِثُوْا إليها.

النتائج

ومن أهم النتائج التى توصلت الورقة إليها هى الآتية:

1- استعمل المسلمون كلمة السفير والرسول فى المعنى نفسه لأداء مهمات السفارة، وهذه السفارة تعنى بعملية المصالحة والمسالمة بين الناس بالحوار والتفاوض كما أن الدبلوماسية هى معالجة العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات، فالسفارة والدبلوماسية لفظتان تستعملان تحت مدلول واحد.

2- إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول للسفراء المسلمين وهو مؤسس الدبلوماسية المستقيمة فى الإسلام.

3- أدت الدبلوماسية التى قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم دورا كبيرا فى نجاحات الإسلام والمسلمين.

4- إن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسياسته مليئان بالدبلوماسية المعتدلة الدقيقة، وهما تمثلان أداة فعّالة استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم فى معالجة الأمور وحل الغوامض.

5- أرسى الإسلام قواعد الشورى والجمهورية والدبلوماسية والسفارة فى تفعيل النظام والحكم وضرورته، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [115].

6- إن تاريخ الإسلام ملىء بالوقائع التى تثبت غزراته وغناءه بالدبلوماسية الصادقة والسفارة الأمينة

7- إن حياة النبى صلى الله عليه وسلم تمثل أسوة حسنة فى سلك الدبلوماسى الصادق والسفير الأمين حيث بعث من الله تعالى إلى الأمة جمعاء، ثم قام بإرسال المفاوضين بين الفينة والأخرى معلما إياهم من آداب الدعوة والتسامح والتفاوض والسلم والصلح.

8- يمثل السفير أو الدبلوماسى أو المفاوض البلدَ، لذلك ينبغى أن يكون متسما بالهدوء فى التفكير والتصرفات، ومطمئنا إلى النجاح الفردى والجماعى، وقوى العزم والإرادة، وواضح الهدف والغاية، وخلوقا، صاحب مروءة وشجاعة وجرأة.

لتربية الجيل الصاعد تربية دينية؛ إسلامية وسياسية واجتماعية وثقافية ينبغى أن يتم إدراج مادة السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام فى المناهج الأساسية والجامعية كمادة إجبارية لتكون الأجيال من الروضة على معرفة يقينية مما جاء به خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم من التعليمات الخالدة، والحلول العادلة للأزمات الفردية والجماعية والسياسية والثقافية بمختلف أشكالها.

هوامش

1 الأحزاب، الآية: 21.

2 آل عمران، الآية: 19.

3 الأنفال، الآية: 61.

4 الرازى، محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرىّ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الطبعة الأولى 1401هـ/1981م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لبنان – بيروت، ج 15، ص 194.

5 صبحى الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، الطبعة السادسة 1982، دار الملايين بيروت – لبنان، ص 57-58.

6 شرح السير الكبير 59/1.

7 النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ص 514.

8 البقرة، الآية: 256.

9 ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس 1984م، ج 3، ص 25.

10 الروم، الآية: 47.

11 سبأ، الآية: 28.

12 الأعراف، الآية: 158.

13 ديوان العباس بن مرداس، جمعه وحققه: الدكتور يحى الجبورى، الطبعة الأولى 1412هـ/1991م، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص 103.

14 الزمخشرى، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوّض، فتحى عبد الرحمن أحمد حجازى، الطبعة الأولى 1418هـ/1998م، مكتبة العبيكان، الرياض، ج 2، ص 595.

15 كان مصداق كلمة "دبلوماسية" في البداية هو الرجل الكبير السن ثم استخدمت فيما بعد فى اللغة الفرنسية للإشارة إلى عمل المفاوض... إلخ. ينظر: جوزيف إم سيراكوسا، الدبلوماسية مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: كوثر محمود محمد، مراجعة: علا عبد الفتاح يس، الطبعة الأولى 2015م، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة – القاهرة.

16 عبد الفتاح على الرشدان، محمد خليل الموسى، أصول العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، الطبعة الأولى 2005م، المركز العلمى للدراسات السياسية، ص 15-16.

17 هو دبلوماسى بريطانى كبير من أب ألمانى حتى يعتبر من زعماء الدبلوماسية المعاصرة، إنه ألف كتبا كثيرة فى الدبلوماسية وملماتها. ينظر:

Ernest Mason Satow Biography, ‘www.biographybase.com/biography/Satow_Ernest_Mason.html

تمت مراجعة صفحة هذا الموقع بتاريخ 19 كانون الثانى 2018م فى الساعة الحادية عشرة تماما.

18 شادية رحاب، الحصانة القضائية الجزائية للمبعوث الدبلوماسي (دراسة نظرية وتطبيقية) أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة فى العلوم القانونية، إشراف: بارش سليمان، 2006، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى جامعة الحاج لخضر – باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم القانونية، ص 8. وأيضا: أصول العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، ص 17.

19 - Encyclopedia Britannica at: https://www.britannica.com/topic/diplomacy, (Diplomacy).

20 التويجرى، عبد العزيز بن عثمان، الدبلوماسية الإسلامية فى خدمة الحوار والسلام (مع الترجمتين الإنجليزية والفرنسية)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو – 1430ھ/2009م، ص 12.

21 موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، سنة الطبع 1987م، الجزء الثاني، ص 658.

22 أصول العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، ص 40.

23 لدغش رحيمة، سيادة الدولة وحقها في مباشرة التمثيل الدبلوماسي (أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه فى القانون العام)، إشراف: بن عمار محمد، السنة الجامعة 2014/2013م، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان – كلية الحقوق، قسم القانون العام، ص 117.

24 ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم، لسان العرب، الطبعة الأولى، ج 4، ص 370.

25 سيادة الدولة وحقها فى مباشرة التمثيل الدبلوماسي، ص 118.

26 النحل، الآية: 125.

27 العمادى، أبو السعود محمد بن محمد، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، الناشر: دار المصحف – مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد القاهرة – مركز التوزيع بلبنان، ج 5، ص 191.

28 تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج 5، ص 191.

29 تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج 5، ص 191.

30 محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية فى الإسلام، 1415ھ/1995م، دار الفكر العربي، مدينة نصر، ص 20-55.

31 عيسى عبد الله على، تنوير الخطاب الديني من منطلق الفكر الإسلامى: ضرورته وضوابطه، الدراسات الإسلامية، العدد الثالث – المجلد السادس والأربعون – الخريف (يوليو – سبتمبر 2011م/شعبان – شوال 1432)، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد – باكستان، ص 95.

32 تنوير الخطاب الدينى من منطلق الفكر الإسلامى: ضرورته وضوابطه، ص 95.

33 ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق وضبط وشرح ووضع الفهارس: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ج 1، ص 194.

34 أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، 1415ھ/1995م، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، رقم الحديث: 6627، ج 6، ص 325.

35 المعجم الأوسط، رقم الحديث: 8333، ج 8، ص 181.

36 الشورى، الآية: 38.

37 علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى البرهان فورى، كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتفسير: بكرى حيانى، تصحيح ووضع الفهارس والمفتاح: صفوة السقا، الطبعة الخامسة 1405ھ/1985م، مؤسسة الرسالة – بيروت، رقم الحديث: 4188، ج 2، ص 340.

38 ذكر العلماء معانى كثيرة فى تسمية "قريش"، وفى تفاصيل وجوه تسمية قريش قريشا يراجع: السيرة النبوية فى فتح البارى لابن حجر العسقلانى، جمع وتوثيق: محمد الأمين بن محمد محمود بن أحمد مولود الجكنى الشنقيطى الجزء الأول، ص 208-210. (ثمة ما يجب التنبه إليه هو إن هذا الكتاب فى الأصل رسالة دكتوراه من قسم السيرة والتاريخ فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتمت مناقشتها فى 1414/4/9هـ).

39 السيرة النبوية، ج 1، ص 182. ويستزاد فى "الحجر الأسود ووضع قواعد البيت": عبد الرحمن السهيلى، الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمن الوكيل، الناشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم بجدة، 1410هـ/1990م، ج 2، ص 281.

40 السيرة النبوية، ج 1، ص 216.

41 الشعراء، الآية: 214-215.

42 محمد بن جرير الطبرى، تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ج 2، ص 320-321. وينظر: م. سفارى، السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم على، نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبرى، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع إسكندرية، الطبعة الأولى 1414هـ/1994م، ص 74.

43 تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك)، ج 2، ص 320-321.

44 تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك)، ج 2، ص 320-321.

45 جرجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامى، ج 1، ص 37. وينظر: عبد العزيز الشناوى، صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (مواقف ومواعظ) – 3 –، دار الفكر العربى القاهرة، ص 7-8.

46 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفى البخارى، الجامع الصحيح وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، الاعتناء: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ، كتاب التفسير.

47 موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ/2002م، (كتاب الإيمان، باب ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يغنى عن الكافرين شيئا)، ج 2، ص 40.

48 الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركى، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان: ج 3، ص 40.

49 المائدة، الآية: 67.

50 أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، توثيق وتخريج وتعليق: عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، دار الريان للتراث – القاهرة، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م، السفر الثانى، ص 187.

51 دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، السفر الثانى، ص 187.

52 البيعة هى الصفقة على إيجاب البيع والطاعة والمبايعة، قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح، الآية: 10]، قال أحمد بن على بن حجر العسقلانى: "والمبايعة: عبارة عن المعاهدة، سيمت بذلك تشبيها بالمعاوضة المالية كما فى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة، الآية: 111]". ينظر: أحمد بن على بن حجر العسقلانى، فتح البارى شرح الجامع الصحيح للبخارى برواية أبى ذر الهروى عن مشايخه الثلاثة: الكشميهنى والمستملى

والسرخسی، تقدیم وتحقیق وتعلیق: عبد القادر شیبة الحمد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الطبعة الأولى 1421هـ/2001م، ج 1، ص 82.

53 عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية: ج 1، ص 108. سميت بيعة العقبة الأولى ببيعة النساء لأنه قد جاء فى الرواية التى أخرجها البخارى "فى كتاب الحدود من طريق سفيان بن عيينة عن الزهرى فى حديث عبادة هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بايعهم قرأ الآية كلها، وعنده فى تفسير الممتحنة من هذا الوجه قال "قرأ آية النساء"، ولمسلم من طريق معمر عن الزهرى قال "فتلا علينا آية النساء" قال: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [الممتحنة، الآية: 12]... إلخ. ينظر: فتح البارى شرح الجامع الصحيح للبخارى برواية أبى ذر الهروى عن مشايخه الثلاثة: الكشميهنى والمستملى والسرخسى، ج 1، ص 85. والصواب أن بيعة العقبة الأولى متقدمة على نزول الآية التى نزلت بلا خلاف بعد فتح مكة. واعتبر ابن حجر هذا الالتباس من بعض توهم بعض الرواة. يراجع فى تفاصيل بيع العقبة وبيعة الحرب وبيعة النساء: فتح البارى شرح الجامع الصحيح للبخارى برواية أبى ذر الهروى عن مشايخه الثلاثة: الكشميهنى والمستملى والسرخسى، ج 1، ص 84-87.

54 عز الدين بن الأثير أبو الحسن على بن محمد الجزرى، أسد الغابة فى معرفة الصحابة، ج 4، ص 405-407.

55 وهذا ما قاله ابن إسحاق حتى صرح بأسمائهم وأنسابهم، وفى نسخة أخرى: "ونسائهم". على أية حال فإن العدد الوارد فى الأحاديث مختلف كما ورد فى بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين، أجاب ابن كثير عن ذلك بأن العرب "كثيرا ما تحذف الكسر" وبعد سطور أيد رأى ابن إسحاق قائلا: "وقول محمد بن إسحاق أنهم خمسة وسبعون (ثلاثة وسبعون رجلا، وامرأتان)، أثبت". ينظر: البداية والنهاية، ج 4، ص 400. وينظر فى تفاصيل القضية:

56 البداية والنهاية، ج 4، ص 400.

57 البداية والنهاية، ج 4، ص 397-398.

58 الجامع الصحيح وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ، باب وفود الأنصار وبيعة العقبة.

59 الجامع الصحيح وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ، باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. ويراجع فى تفاصيل الأحداث وملماتها الصغرى والكبرى التى جرت بين الأوس والخزرج وتغلبهما على اليهود ثم حدوث الفرقة والجدال بينهما وتأثير تلك الخصومات العنيفة على الجوار، وما ترتبت عليها من النتائج الناجمة من علاقاتهما مع الآخرين مثل القرشيين وغيرهما من القبائل، ويوم بعاث (حرب بعاث) الذى تقول فيه عائشة رضى الله عنه: "كَانَ يَوْمُ بُعَاثَ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدِ افْتَرَقَ مَلَؤُهُمْ، وَقُتِّلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجُرِّحُوا، قَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُخُولِهِمْ فِي الإِسْلاَمِ"، وتغير الأحوال وتبدل الأوضاع، وإسلام كثير منهم قبل مهاجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حيث اختارها الله مأوى لحبيبه: شمس الدين محمد بن يوسف بن على بن سعيد الكرمانى، الكواكب الدرارى بشرح صحيح البخارى، دار إحياء التراث العربى بيروت – لبنان، طبعة ثانية 1401هـ/1981م، كتاب بدء الخلق، رقم الحديث 3532، ج 15، ص 33.

60 فالح حسين، بحث فى نشأة الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى آذار/مارس 2010م، ص 40-42.

61 السيرة النبوية، ج 2، ص 206-208. وينظر فى محتويات تلك المعاهدة: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة، دار النفائس – بيروت، الطبعة الخامسة 1405هـ/1985م، ص 57-62.

62 فتح البارى شرح الجامع الصحيح للبخارى برواية أبى ذر الهروى عن مشايخه الثلاثة: الكشميهنى والمستملى والسرخسى، كتاب التفسير، سورة لم تحرم، ج 8، ص 537.

63 أطلق الفرس لقب "كسرى" على ملوكهم، فهو لقب لكل من ملك الفرس: ينظر: أبو زكريا محى الدين بن شرف النووى، تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الجزء الثانى من القسم الأول، ص 65.

64 أطلق الرومان لقب "القيصر" على حكامهم، فهو لقب لكل من ملك الروم: تهذيب الأسماء واللغات، الجزء الثانى من القسم الأول، ص 65.

65 فتح البارى شرح الجامع الصحيح للبخارى برواية أبى ذر الهروى عن مشايخه الثلاثة: الكشميهنى والمستملى والسرخسى، كتاب التفسير، سورة لم تحرم، ج 8، ص 537.

66 فتح البارى شرح الجامع الصحيح للبخارى برواية أبى ذر الهروى عن مشايخه الثلاثة: الكشميهنى والمستملى والسرخسى، كتاب التفسير، سورة لم تحرم، ج 8، ص 537.

67 الحافظ ابن العربى المالكى، عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، أبواب البر والصلة (باب ما جاء فى رحمة اليتم وكفالته)، ج 8، ص 106-107.

68 الأحزاب، الآية: 21.

69 شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى المعروف بابن القيم الجوزية، زاد المعاد فى هدى خير العباد، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة السابعة والعشرون 1415هـ/1994م، فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى الأسارى، ج 3، ص 109-110.

70 أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدى السجستانى، سنن أبى داود، تحقيق وضبط وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قربللى، دار الرسالة العالمية – الجمهورية العربية السورية، طبعة خاصة 2009م/1430هـ، باب فى المن على الأسير بغير فداء، رقم الحديث: 2689، ج 4، ص 326.

71 بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى، عمدة القارى شرح صحيح البخارى، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد على بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1421هـ/2001م، كتاب المغازى، باب غزوة الخندق وهى الأحزاب، ج 17، ص 236. ويراجع فى ترجمة سلمان: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبى النمرى، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، تصحيح وتخريج: عادل مرشد، دار الأعلام – الأردن، الطبعة الأولى 1423هـ/2002م، باب حرف السين ص 291.

72 فتح البارى شرح الجامع الصحيح للبخارى برواية أبى ذر الهروى عن مشايخه الثلاثة: الكشميهنى والمستملى والسرخسى، كتاب المغازى، رقم الحديث: 3950، ج 7، ص 453.

73 محمد عبد الحى الكتانى الإدريسى الحسنى الفاسى، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، منقحة باعتناء وتحقيق: عبد الله الخالدى، شركة دار الأرقم بن أبى الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص 300.

74 كان من الأوس، جرح يوم بنى قريظة، ويكنى أبا عمرو. يراجع فى ترجمته: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى، معجم الصحابة، دراسة وتحقيق: محمد الأمين بن محمد محمود أحمد الجكنى، مكتبة دار البيان دولة الكويت، ج 3، ص 9-12.

75 كان سعد بن عبادة من النقباء، من الأنصار، ويكنى أبا ثابت، مات بحوران من أرض الشام. يراجع فى ترجمته: معجم الصحابة، ج 3، ص 13-17.

76 كان عبد الله بن رواحة من النقباء الاثنى عشر. يراجع فى ترجمته: معجم الصحابة، ج 4، ص 54-56.

77 سكن المدينة، وكان يكنى أبا صالح، مات خوات بن جبير سنة أربعين وهو ابن أربع وسبعين سنة. يراجع فى ترجمته: معجم الصحابة، ج 2، ص 275-278.

78 أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى، عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير، تحقيق وتخريج وتعليق: محمد العيد الخطراوى، محى الدين متو، مكتبة دار التراث – المدينة المنورة، دار ابن كثير دمشق – بيروت، ج 2، ص 90.

79 عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير، ج 2، ص 90.

80 السيرة النبوية، ج 2 ص 223.

81 السيرة النبوية، ج 2 ص 223.

82 هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعى، سكن المدينة، وكان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن ذى اللحية، ومات فى خلافة عثمان رضى الله عنه. ينظر فى ترجمته: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، باب حرف النون ص 726.

83 التاريخ السياسى للدولة العربية، ج 1، ص 119.

84 أبو الحسن على الحسنى الندوى، السيرة النبوية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثامنة 1410/1409هـ - 1989م، ص 276.

85 الفتح، الآية: 18.

86 السيرة النبوية، ص 276.

87 السيرة النبوية، ص 276.

88 يراجع فى تفاصيل هذه المعاهد وبنوده على أنها كانت معاهدة حكمة وحلم وتنازل وفتح أو امتحان واختبار وبلاء ومهانة وهزيمة: السيرة النبوية، ص 274-281.

89 الفتح، الآية: 1.

90 عبد الله بن عبد الرحمن الخرعان، السيرة الميسرة لنبى الرحمة، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى 1430هـ/2009م، ص 149.

91 السيرة الميسرة لنبى الرحمة، ص 150.

92 السيرة النبوية، ج 2 ص 592-593.

93 السيرة النبوية، ج 2 ص 594.

94 دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة، أسلم قديما، ولم يشهد بدرا، شهد المشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بدر، كان يضرب به المثل فى حسن الصورة، شهد اليرموك، عاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنه. ينظر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، باب حرف الدال ص 217.

95 زاد المعاد فى هدى خير العباد، ج 3، ص 688.

96 كل من كان يحكم الحبشة يلقب به.

97 زاد المعاد فى هدى خير العباد، ج 3، ص 689.

98 عمرو بن أمية الضمر يكنى أبا أمية، صحابى مشهور، عرف بالشجاعة والإقدام، مات بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه. ينظر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، باب حرف العين، ص 491.

99 هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية: كان ممن هاجر الهجرتين جميعا هووأخوه خالد بن سعيد بن العاص إلى أرض الحبشة، ثم إلى المدينة. ينظر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، باب حرف العين، ص 489-490.

100 هو عبد الله بن حذافة السهمى، صحابى جليل قديم في الإسلام، لم يشهد بدرا، كان من مهاجرى الحبشة الهجرة الثانية، شهد فتح مصر، مات فى خلافة عثمان رضي الله عنه. ينظر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، باب حرف العين، ص 391.

101 زاد المعاد فى هدى خير العباد، ج 3، ص 688.

102 كل من كان يحكم الإسكندرية يلقب به.

103 يكنى أبا عبد الله، وقيل: يكنى أبا محمد، حليف قريش، وقيل: هو حليف الزبير بن العوام. وهو من أهل اليمن، والأكثر أنه حليف لبنى أسد بن عبد العزى، شهد بدرا، والحديبية، ومات سنة ثلاثين بالمدينة، وهو ابن خمس وستين سنة. ينظر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، باب حرف الحاء، ص 170.

104 زاد المعاد فى هدى خير العباد، ج 3، ص 691.

105 هو شجاع بن وهب الأسدي من السابقين الأولين، كان من المهاجرين إلى الحبشة، شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتل يوم اليمامة شهيدا سنة اثنتى عشرة للهجرة وهو ابن بضع وأربعين سنة.

106 هو سليط بن عمرو العامرى صحابى شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما أسلم كان يكسر أصنام بين عدى بن النجار، قتل شهيدا. ينظر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، ص 319.

107 هو هوذة بن على الحنفى ملك اليمامة، زار كسرى فسقاه بكأس من ذهب وأعطاه إياه، وكساه قباء ديباج منسوجا بالذهب واللؤلؤ. سأله عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد يغزو ويصيب من المغازى وكان له عشرة ولد كان نصرانيا وأرسل وفدا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يجعل الأمر له من بعده فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم طلبه هذا، مات بعد هذه الحادثة بقليل. ينظر: البلاذرى، أبو العباس أحمد بن يحى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق وشرح وتعليق وإعداد: عبد الله أنيس الطباع – عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ/1987م، ص 118 وما بعدها.

108 زاد المعاد فى هدى خير العباد، ج 3، ص 696.

109 زاد المعاد فى هدى خير العباد، ج 3، ص 692.

110 زاد المعاد فى هدى خير العباد، ج 3، ص 693.

111 زاد المعاد فى هدى خير العباد، ج 3، ص 697.

112 هو الأيهم بن جبلة بن الحارث الغسانى أحد ملوك الشام فى الجاهلية، كان في حوزته بلاد تدمر وما يليها من بلاد الشمال فى سورية، استقام له الأمر فيها 27 سنة وشهرين. ينظر: خير الدين الزركلى، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين موسوعة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة عشرة أيار/مايو 2002م، ج 2، ص 36.

113 هو المهاجر بن أبي أمية سهيل بن المغيرة، صحابي من القادة، شهد بدرا مع المشركين، كان اسمه الوليد فى الجاهلية، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر، استعمله على كنده. ينظر: الكامل لابن الأثير، ج 2، ص 301.

114 عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير، ج 2، ص 344.

115 آل عمران، الآية: 159.